مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر

أ.د. الغالي غربي / جامعة المدية
د. عطا الله فشار / جامعة زيان عاشور - الجلفة

المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر

أ.د. الغالي غربي د. عطا الله فشار

الملخص:

تطرح ورقة بحثنا موضوعا ما زال لم يحظ بالعناية الكافية من قبل الباحثين الأكاديميين وهو ينحصر في نظرة المدرسة التاريخية الفرنسية للوجود العثماني في الجزائر. فقد تعرضت الفترة العثمانية الممتدة من 1516 الى غاية 1830 الى الطمس والتشويه وتزييف الحقائق التاريخية المتعلقة بهذا الوجود. وسخرت هذه المدرسة كل امكانياتها المادية والبشرية لترسيخ هذا التوجه، حتى توارث الجزائريون أحكاما سلبية عن الحكم العثماني في الجزائر، مع ادعائها أن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، كان هدفها إنقاذ الجزائريين و تحريرهم.

الكلمات المفتاحية: المدرسة التاريخية الفرنسية، الوجود العثماني، الجزائر.

Abstract:

Our paper presents a subject that has not yet been sufficiently taken care of by academic researchers and is limited to the view of the French historical school of the Ottoman presence in Algeria. The Ottoman period from 1516 to 1830 was subjected to obliteration, distortion and falsification of historical facts about this existence. This school devoted all its material and human resources to the consolidation of this trend, until Algerians handed down negative judgments about the Ottoman rule in Algeria, claiming that the French campaign against Algeria in 1830 was aimed at saving Algerians and liberating them.

Keywords: French historical school, Ottoman presence in Algeria, Algeria.

شرعت السلطات الفرنسية بعد الاحتلال مباشرة في طمس وتدمير كل ما يمت بصلة الى العهد العثماني من تراث حضاري بحيث هدمت المساجد والأسواق ونبشت القبور ونهبت الدور والقصور التي استغلت للأغراض العسكرية والإدارية. كما ودمرت سجلات ووثائق الحكومة التركية ودفاتر المحاكم الشرعية ولم يتوقف الحقد الفرنسي عند هذا الأمر بل انتهجوا سياسة الإبعاد القسري والتهجير لكل ما يمت بصلة للأتراك من عائلات واسر بعد تجريدهم من أموالهم ومصادرة أملاكهم دون تعويض رغم بنود وثيقة الاستسلام التي التزمت بها السلطات الفرنسية لحكومة الداي. ونجيب في ورقتنا هذه على الإشكالية التالية الى أي مدى نجحت المدرسة التاريخية الفرنسية في تحقيق وتجسيد ومزاعم الساسة الفرنسيين ومنظري الفكر الاستعماري من الدولة العثمانية؟ وكذلك الرؤى والأفكار التي طرحتها هذه المدرسة لصياغة تاريخ جديد يخدم أهداف المستعمر ومصالحه.

بدأت الأدبيات الفرنسية تولي اهتماما بالجزائر منذ نهاية القرن السادس عشر، حيث ارتبط اسمها في سياق الاهتمام الفرنسي بصورة الشرق الذي كانت تمثله الدولة العثمانية. وأزداد هذا الاهتمام بتطور نزعة شغف الغربيين بالشرق مع بروز المذهب الرومانسي والرحلات الشرقية ولوحات المستشرقين. وكان لتحسن العلاقات الفرنسية – العثمانية، أن أعطى دفعا قويا في هذا الاتجاه، بظهور علم التركيات وتأسيس مركز الدراسات الشرقية في نهاية القرن الثامن عشر. [1] ولما أضحت الجزائر جزءا لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية، فإن الفرنسيين بدأوا يفردون حيزا في دراساتهم وأبحاثهم لإيالة الجزائر، والتي كان لظهورها في الناحية الغربية من البحر الأبيض المتوسط، تداعيات وتحولات كبيرة على مسار العلاقات العثمانية – المسيحية.

إن أهمية الجزائر الاستراتيجية ومكانتها الدولية التي تفردت عن بقية دول الغرب الإسلامي في العصر الحديث، جعلاها تحظى من قبل الفرنسيين بصفة خاصة بإنتاج ادبي وتاريخي وعسكري معتبر من ناحية الكم [2].

وما يمكن أن يقال عن الكتابات التاريخية عن الفترة العثمانية في الجزائر تنوع مصادر هذه الكتابات، فمنها الإيطالية والاسبانية والفرنسية والدانماركية والبريطانية والأمريكية، وهي دول كانت لها علاقات سياسية ودبلوماسية ومصالح اقتصادية مع إيالة الجزائر إبان العهد العثماني. وقد فسر تطور وتيرة هذا الاهتمام الأوربي بالتاريخ الجزائري وأحداثه، بتزايد قوة وسيطرة الأسطول البحري الجزائري على البحر الأبيض المتوسط والذي كان دافعا قويا الى تتبع كل ما يحدث في الجزائر ليصبح موضوع دراسة وتحليل، للوصول الى نقاط الضعف واستغلالها لشن الغارات عليها [3].

المدرسة التاريخية الفرنسية النشأة والتطور:

مرت المدرسة التاريخية الفرنسية بعدة مراحل كل مرحلة لها خصوصياتها وميزاتها وأجمع الدارسون على ثلاث مراحل أو عهود أساسية. المرحلة الأولى، هي مرحلة ما قبل 1830، وخصوصية هذه المرحلة، أن كتابهم ينتمون الى عدة فئات ومشارب من المجتمع الفرنسي. وكان جلها عبارة عن مذكرات لرهبان وقساوسة مسيحيين جاؤوا الجزائر في سياق فدية الأسرى، أو تقارير وعروض لقناصل ومبعوثين حكوميين وحتى الجواسيس في إطار التحضير لأعمال عدائية ضد الإيالة. و كذا كتب الرحالة الذين استقر بهم الحال بالجزائر في الجزائر لأهداف علمية واستكشافية فدونوا من خلالها مشاهداتهم وملاحظاتهم اليومية.

تعود أهمية هذه الكتابات للمعطيات والمعلومات القيمة التي تخص الجزائر في العهد العثماني. فهي تغطي جوانب عدة من تاريخ الإيالة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري. وتعود أهمية هذه الكتابات أيضا، الى أن أصحابها كانوا معاصرين للأحداث التاريخية التي

دونوها وعاشوها. وهذا الأمر لا يعني أن المعلومات التاريخية الواردة في هذه المرحلة كلها جديدة، وإنما يطغى على البعض منها النقل والتكرار. وأشهر من مثل هذا العهد LE PERE DAN[4] وأيضا SHAW M.D[5] و LEROY[6] و LAURENT D ARVIEUX[7] وSAVARY DE BREVES[8] DIEGO DE HAEDO[9].

اما المرحلة الثانية والتي عرفها المؤرخ الفرنسي بالمدرسة التاريخية الجزائرية القديمة، فقد تميزت بأن كتابها كانوا في غالبيتهم من العسكريين والمترجمين، كان دافعهم للكتابة إما هواية أو تنفيذا لأوامر فوقية ممثلة في قيادة جيش الاحتلال الفرنسي. وقد وجد هؤلاء العسكريون كل الدعم المادي والبشري من طرف وزارة الحربية الفرنسية التي سارعت الى تشجيع اللجان العلمية والجمعيات الأثرية والعديد من الهيئات والتي فتحت أبوابها أمام هؤلاء.[10] لنشر أبحاثهم ودراساتهم التي غطت مختلف جوانب التاريخ الجزائري. واستطاع هؤلاء العسكريون أن ينشروا عددا معتبرا من الأعمال اعتمادا على الوثائق المكتوبة أو الروايات الشفوية التي تمكنوا من الاستلاء عليها أثناء الحملات العسكرية. وكانت هذه الوثائق في مجملها عبارة عن وثائق العائلات ومكرات رجال العلم وشيوخ الزوايا أو عقود العائلات الأحوال الشخصية والمعاملات الخاصة[11].

ولتقييم إنتاج هذه المرحلة، فقد أشار الأستاذ أبو القاسم سعد الله، الى أن أعمال هؤلاء العسكريين رغم اعتمادها على الجمع، لاسيما من المصادر الشفوية والمشاهدات الشخصية، فإنها قد تركت للمؤرخين اللاحقين أرضية يبدؤون منها ، ومنافذ يطلون منها على أحوال الجزائريين الذين لم يكونوا يعرفون عنهم إلا القليل[12]. وكان أشهر من مثل هذه المرحلة، نذكر على سبيل المثال ؛ بليسيه دو رينو و روزي وكاريت ، وبيربريجر ، وهانوتو[13]. تميزت هذا العهد بغزارة إنتاجه التاريخي وتنوعه وذلك بسبب إصرار السلطات الاستعمارية على إعطاء الجانب التاريخي أهمية لاستكمال عملية احتلال الجزائر، وهذا لا يتأتى الا بجمع التراث الجزائري ودراسته. ومن الخصائص الأخرى التي ميزت الكتابة التاريخية، أن البحث تركز بصفة ملفتة على الظاهرة الدينية في الجزائر المستعمرة، أو ما كان يسمى بالإسلام الجزائري. وخلفيات هذا التوجه، هو قناعة الإدارة الاستعمارية بأهمية ومكانة الدين الإسلامي في الوجدان الجزائري، فظهرت العديد من الدراسات والأبحاث عن الدين الإسلامي ومؤسساته ورجاله.

مع ثمانينات القرن التاسع عشر، دخلت المدرسة التاريخية الفرنسية مرحلة جديدة من ناحية المضمون ونوعية المؤرخين الذين تصدوا للكتابة التاريخية. وظهر جيل جديد من المؤرخين بدأ في انتهاج الطرق العلمية والمنهجية خاصة بعد أن وفرت لهم الإدارة الاستعمارية الأدوات العلمية للقيام بمهامهم. وكان لظهور المدارس العليا ثم الجامعات، أن اعطى دفعا قويا في مجال الدراسات التاريخية والأثرية وتنوعها، إذ أصبحت أكثر نضجا. وهنا علينا أن نشير الى المساهمة الكبيرة التي قدمها المعربون في النقلة النوعية هاته مما فتح مضمار البحث التاريخي على مصراعيه. وما يمكن ان نشير إليه في هذا السياق أن هذا العهد سخر للكتابة عن الاستعمار والدفاع عنه وإظهار محاسنه، ومن ثمة إضفاء الشرعية عليه خاصة وأن هذا العهد تزامن مع الاحتفال بمرور الذكرى المئوية على احتلال الجزائر والتي جندت لها الإدارة الاستعمارية إمكانيات ضخمة مكنت من صدور كم هائل من الدراسات والأبحاث التي تمجد الاستعمار الذي مكن الجزائريين من التخلص من نير الاستبداد التركي الى عصر الحرية والديمقراطية التي جاء بها الفرنسيون.

الجزائر العثمانية في أدبيات المدرسة التاريخية الفرنسية:

بعد استعراضنا للتطور التاريخي للمدرسة التاريخية الفرنسية من ناحية نشأتها وإنتاجها، ننتقل للإجابة على السؤال المحوري في ورقتنا البحثية هاته.

وهو كيف نظر مؤرخو هذه المدرسة للمرحلة العثمانية في الجزائر 1518-1830؟ وما هي المنطلقات والمعايير التي اعتمدوها في معالجتهم وتعاملهم مع مختلف جوانب الوجود العثماني في إيالة الجزائر؟ والى أي مدى كانت أحكامهم وتحليلاتهم واستنتاجاتهم موضوعية وصائبة؟ وما طبيعة الإجراءات الفرنسية المتخذة ضد كل ما يمت بصلة للوجود العثماني من تراث مادي ومعنوي.

مدرسة ما قبل الاحتلال الفرنسي:

انتهجت الكتابات التاريخية في هذه الحقبة على مبدأ أساسي وهو اثارة الرأي العام الأوربي والمسيحي، للتحرك من أجل وضع حد لمعاناة المسيحيين في إيالة الجزائر، الذين يتعرضون حسب ادعاءات الغالبية من هؤلاء المؤرخين، الى التهديد والإكراه لاعتناق الإسلام. و قد لعبت العديد من الجمعيات اللاهوتية المدعمة من الكنيسة، وأشهرها جمعية الافتداء المسيحية، دورا كبيرا في تأجيج روح الكراهية والبغضاء والانتقام ضد كل ما يمت بصلة للجزائريين والأتراك. فمثلا، نجد le Père Dan يركز في كتابه على " العقوبات والمصائب التي يذيقها الترك المتوحشون للنصارى الذين يستعبدونهم " [14].و يضيف في مكان آخر من كتابه، واصفا أتراك الجزائر قائلا:" ليسوا سوى قراصنة، لا عهد لهم ولا صدق ولا يتورعون نقض المعاهدات المصادق عليها في أول فرصة سانحة، حينما يتعلق الأمر بمصالحهم، بل أنهم يفتعلون الأسباب لنكثها "[15].

ومن الافتراءات والأوصاف الدنيئة التي يصادفها المتصفح لأدبيات هذه المدرسة ما ذكره GRAMMAYE عن تصرفات بحارة الأسطول الجزائري بالقول:" إن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات المتوحشة، ينقضون على الغنائم، وهم يصرخون بكل شراسة ثم يستولون على السفينة وما احتوته طمعا بالثروة حتى لو كانت السفينة لإحدى الدول المرتبطة بمعاهدة صداقة معهم "[16].

وهكذا تم وصف الجزائر في العهد العثماني، بأبشع الصور القاتمة والمخيفة، وقد لخصها الأستاذ مولاي بلحميسي، عندما قال: " فالجزائر في مؤلفاتهم حجر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى، وجمهورية قطاع الطرق، وحكام البلاد غيلان افريقيا، وهم أهل استبداد، معدمو الأخلاق همهم الوحيد هو طلب اللذة ونهب الأموال. وأما رياس البحر وعظماء البحرية فهم المتعطشون للدماء وهم رعاع القوم وحثالة الأتراك وهم القراصنة الناهبون ..." [17].

من جانبنا، فإن تفسير خلفيات هذه الهجمة المغرضة، والمغالطات من قبل هذه المدرسة على إيالة الجزائر العثمانية مردها عدة اعتبارات لفهمها، منها؛ طبيعة الظروف الدولية التي كتبت فيها، وعلى رأسها؛ اختلال موازين القوى في الناحية الغربية للبحر الأبيض المتوسط لصالح الجزائر في صراعها مع القوى الأوربية المسيحية، التي عجزت على إلحاق الهزيمة بها. مما دفع بهذه الأخيرة الى السعي للفوز بود الجزائر. ويمكن أن نضيف الى هذا، تأثر هؤلاء الكتاب بطبيعة العلاقات العدائية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي مما انعكس على مصداقية تحليلاتهم التي بقيت حبيسة الروح العدائية والتعصب الديني.

وكانت النتيجة لهذه الأجواء المشحونة أن تطبعت الكتابات بالأحكام والأفكار المسبقة والنوايا المغرضة، وميل أصحابها الى الشتم والازدراء والاستفزاز والاحتقار [18]. فانعدمت الموضوعية والمصداقية في تحليل الأحداث، وغابت الحقيقة، رغم أهمية بعض المعطيات التاريخية التي تخص مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت عليها إيالة الجزائر إبان العهد العثماني.

مدرسة ما بعد الاحتلال الفرنسي:

لا تختلف أدبيات هذه المدرسة عن سابقتها، في أحكامها ونظرتها للوجود العثماني في الجزائر، وإن كانت المدرسة الأولى تحكم فيها عنصر التعصب الديني

والنظرة الذاتية الضيقة. فإن الثانية، ارتبطت بالمستجدات الجديدة التي شهدتها الجزائر والمتمثلة في الاحتلال الفرنسي، بقيت حبيسة التوجيهات الفوقية التي كانت تتلقاها من سلطات الاحتلال، وهذا ما حذا بالبعض الى توصيفها بمدرسة التاريخ الاستعماري، فهي مدرسة تحمل طابعا أيديولوجيا بالدرجة الأولى قبل الصفة العلمية [19].

رغم امتلاك مؤرخو هذه المدرسة للأدوات العلمية والمنهجية، والتي مكنتهم من الانتقال بالدراسات التاريخية نحو أفاق أوسع. ورغم ذلك، فإنه يحسب لمؤرخي هذه المدرسة تلك الإنجازات والأعمال القيمة متمثلة في الكم الهائل من الدراسات والأبحاث تخص الاحتلال الفرنسي والسياسات الاستعمارية وعمليات جمع وتصنيف المصادر والوثائق التاريخية التي تتعلق بتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. ورغم هذا كله، فإن لهذه المدرسة عدة مآخذ، يمكن إجمالها:

1- ان ما أنجزه مؤرخو هذا العهد، لا يعدو أن يكون تاريخ الاستعمار الفرنسي ومآثره الحضارية في الجزائر. أما ما ورد عن تاريخ الجزائر في كتاباتهم، فقد ربطوه بأهداف ومرامي هذا الاستعمار. ولهذا صيغت الكتب والمناهج الدراسية والتعليمية وفق الرؤية الاستعمارية الرامية الى طمس حقائق التاريخ الجزائري وبصفة خاصة الحقبة العثمانية منه. والهدف من وراء ذلك؛ تشكيك الجزائريين في تاريخهم انطلاقا من تحريف معلومات الكتب التي تتصل بتاريخ الجزائر [20].

2- في تطرقهم للفترة العثمانية في الجزائر، فإن منهجيتهم تفادت النظرة الشاملة لأحداث تاريخ هذه الفترة مع التركيز على الثانوية منها، مع إهمال الجوانب الحضارية التي تخص الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية. وهو بذلك رفض للتعرف على الحقيقة التاريخية ومعاداة الرؤية السليمة للتاريخ وتجاهل صريح لواقع الطرف الأخر أي العثمانيين [21]. فالفترة العثمانية برمتها، لخصتها كتب هذه المدرسة؛ في أعمال القرصنة واللصوصية واستعباد المسحيين ووضعيتهم البئيسة والشقية في مدينة الجزائر، والتجارة، والرهبان ومفتدي الأسرى، والمؤامرات الدسائس التي تحيكها قوى النظام فيما بينها، ومعاناة الجزائريين من الاستبداد والجشع التركيين، وغيرها من العبارات التي تدل على موقف المبطن مقصود يدل على جهل بحقائق الأمور وهذا ما سوف نبينه في خاتمة دراستنا [22].

3- تأثر هذه المدرسة بالنظريات الفلسفية الأوربية في تفسير أحداث التاريخ الإنساني معتبرة أن الحضارة الأوربية هي الحضارة المثلى الواجب الاقتداء بها وما عداها من الحضارات هي نماذج متخلفة وغير صالحة [23]. وكان الانسياق وراء هذا النوع من النظريات، وقوعها في العديد من الأخطاء والتحريفات والتفسيرات الواهية والغير مؤسسة على قواعد علمية ومنهجية، وكذلك طمس فترات وحقب تاريخية في تاريخ الجزائر للوصول الى غايتهم وهي أن الجزائر لم يكن لها كيان سياسي ولا مكانة دولية في الفترة الحديثة، وأن الظهور الحقيقي لشخصية الجزائر كان مع الاستعمار الفرنسي.

4- من عيوب هذه المدرسة استبعادها للمصادر المحلية والعثمانية والعربية فيما كتبته عن تاريخ الجزائر. بحجة أن هذه المصادر غير دقيقة وتفتح المجال للافتراض. واكتفوا في سرد أحداث التاريخ الجزائري وبصفة خاصة الحقبة العثمانية على المصادر الغربية والأرشيفات الغربية، وما تركه الرحالة والسفراء والقناصل، فجاءت تفسيراتها محدودة ([24]). وتعرض هذا التوجه في الكتابة التاريخية الى النقد من قبل المؤرخ hk Robert Mantranعندما قال: " لا يمكن كتابة تاريخ حقيقي للجزائر في القرون التي عاشتها تحت الحكم التركي إلا بالرجوع الى الوثائق الأصلية التي ظلت ناقصة [25]. وهنا تظهر أهمية العودة الى الأرشيف العثماني لما يحتويه من معطيات وحقائق كثيرة تفند الكثير من الأحكام المسبقة التي ألصقت بالعهد العثماني في الجزائر.

استنتاجات وحوصلة:

ان ما سقناه من عينات وآراء، ما هو في حقيقة الأمر، إلا فيض من بحر، لعملية تشويه ممنهجة للوجود العثماني ومآثره الحضارية في الجزائر، باشرتها فرنسا قبل سنة 1830. مستغلة روح العداء والكره للعثمانيين والمسلمين السائدة بين الأوساط الأوربية وبخاصة الوسط المسيحي. وبدأت في تجسيد نواياها الاستعمارية بحملة دعائية واسعة لتأليب الرأي العام الأوربي ضد الفظاعات المرتكبة في حق الأبرياء من المسيحيين على يد أولئك القراصنة المتوحشون. وأثمرت جهودها في تلك القرارات التي تمخضت عن مؤتمري فيينا و أكس لاشابيل . ثم انتقلت الى مرحلة التحضير والاستعداد للقيام بالانقضاض على "وكر اللصوص" مستفيدة من الكم الهائل من المعلومات السياسية والعسكرية والاجتماعية والطبوغرافية التي تخص إيالة الجزائر التي جمعها السفراء والقناصل والجواسيس والتجار والرحالة الذين أقاموا في مدينة الجزائر. وكانت المرحلة النهائية لإنجاح عملية الغزو العسكري، القيام بتحرك دعائي بين الجزائريين وإقناعهم بقبول الأمر الواقع. فحرروا بيانين دعائيين الأول سبق وصول الحملة تكفل القنصل الفرنسي في تونس بتوزيعه، والثاني حرره قائد الحملة الجنرال دي بورمون أثناء حصاره لمدينة الجزائر.

ادعى الفرنسيون في هاتين الوثيقتين، أن حملتهم العسكرية لا تستهدف الجزائريين بل تأديب الأتراك ورد الاعتبار للشرف الفرنسي. ومما جاء في البيان الأول: " اننا نحن اصدقاءكم الفرنسيين نتوجه الآن نحو مدينة الجزائر. إننا ذاهبون لكي نطرد الأتراك من هناك. إن الأتراك هم أعداءكم وطغاتكم الذين يتجبرون عليكم ويضطهدونكم والذين يسرقون املاككم وإنتاج ارضكم، والذين يهددون حياتكم باستمرار، إننا لن نأخذ المدينة منهم لكي نكون سادة عليها. اننا نقسم على ذلك بدمائنا وإذا انضممتم الينا، وإذا برهنتم على انكم جديرون بحمايتنا، فسيكون الحكم في أيديكم كما كان في السابق، وستكونون سادة مستقلين على وطنكم ...." [26].

إن هذه الفقرة وما احتوته من مغالطات تاريخية وتجني مقصود ضد أتراك الجزائر ستكون القاعدة التي سيكتب من خلالها تاريخ الوجود العثماني في الجزائر. وستكون المدرسة التاريخية الفرنسية إحدى الوسائل التي استخدمت لترسيخ وترويج لهذه الأفكار والمفاهيم، من أجل تشكيك الجزائريين بما قدمه اتراك الجزائر من أعمال جليلة لا ينكرها جاحد. ولم تكتف سلطات الاحتلال الفرنسي بهذا فقط بل استمرت في محو آثار كل ما يمت بصلة بهذا التاريخ، من خلال التخلص من ذلك التراث الحضاري المادي واللامادي الذي تركه أتراك الجزائر، من خلال عمليات التهديم والإزالة لمعالم المدينة العمرانية تحت حجج وذرائع واهية. ولم تتوقف الهجمة عند هذا الحد، بل انتقلت الى طرد ما تبقى من الطائفة التركية، وارغام أفرادها على الخروج من الجزائر بعد تجريدهم من أموالهم وأملاكهم، ولم يستثن من ذلك الا الداي حسين وحاشيته [27].

خاتمة القول، أن السلطات الاستعمارية الفرنسية، استطاعت ومن خلال العديد من الأساليب والأدوات أن تمحي جزءا مهما من تاريخ الجزائر العثمانية. وأفلحت الى حد ما في زرع الشك والريبة في نفوس بعض الجزائريين، الذين انساقوا وراء المغالطات الفرنسية. وأصبح البعض منهم، لا يتوان في ترديد مقولة المدرسة التاريخية الفرنسية، بوصف الوجود العثماني بالاستعمار والاستبداد والتخلف.

إن هذا الأمر، يفرض على المؤرخين الجزائريين، إعادة كتابة تاريخهم وتصحيحه وتنقيته من الشوائب والأدران التي ألصقتها به المؤسسة الاستعمارية الفرنسية. وهذا العمل ليس بالهين، لأنه يتطلب العودة الى الوثائق الأرشيفية وبخاصة الأرشيف العثماني، الذي بدأت تظهر أهميته وقيمته في السنوات الأخيرة، دون أن ننسى

أرشيفات البلدان التي ارتبطت في مرحلة ما التاريخ بعلاقات مع إيالة الجزائر.

الإحالات:

1- أنظر الدراسة القيمة لميخائيل ف.دكلين غبرغ . صورة الشرق في الأدب والفن الفرنسيين منذ القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر . مجلة التسامح (النسخة الالكترونية) العدد 24. سنة 2008.

2- مولاي بلحميسي : موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني . مجلة الدراسات التاريخية . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 1988 . ص 101.لمعرفة ما أنتجته الأدبيات الفرنسية أنظر:

Rouad de Card ; Livres français des XVII – XVIII Concernant les états barbaresques régence d'Alger, de Tunis, de Tripoli et empire de Maroc , Paris , 1911.

Tailliart, Charles, L'Algérie dans la littérature française libraire ancienne. (Ec), Paris 1925

أما حصيلة الإنتاج التاريخية إلى غاية 1930 أنظر:

J. Alazard.E. Albertine (et Autres) ; Histoire et historiens de l'Algérie 1830-1930) , Libraire Felix Alcan M.C.M XXXI

3- مولاي بلحميسي : موقف ... ص ص 101-102.

4- *le Père Dan Le père dan : histoire de barbarie et des corsaires, paris pierre rocolte. 1649 . .*

5- *Shaw. Docteur. Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique physique, philologique, etc de cet état. Traduit de l'anglais par thomas. Mac McCarthy. Marlin. Paris 1830.*

6- *Leroy.m . état général et particulier du royaume et de ville d'Alger de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer vandole la Haye 1750.*

7- *Laurent d'Arvieux. Mémoires du chevalier d'Avrieux , envoyé extraordinaire de roy a la porte consul d'Alep, d'alger de tripoli et autre échelles du levant .paris .M.D.CC.XXXV.*

8- *Fracois savary breves. Relation des voyages de Monsieur de Brèves, tant en Grèce, Terre-Sainte et Aegypte, qu'aux royaumes de Tunis et Alger, ensemble un traicté faict l'an 1604, entre le Roy Henry le Grand et l'Empereur des Turcs, et trois discours audit sieur... / Paris : Nicolas Gasse , 1628*

9- *Diego de Haedo Topographie et histoire générale d'Alger .trad. MM DR..Monnereau.a.Berbrugger.Alger. Adolphe jordan.1870*

10- في هذا السياق أنشأت وزارة الحربية الفرنسية لجنة اكتشاف الجزائر العلمي سنة 1837 *Exploration Scientifique de l'Algérie* والتي أصدرت عددا من الدراسات في مجالات مختلفة الآثار. الفنون. التاريخ . الأثنوجرافيا . وكذا الجمعية التاريخية الجزائرية والتي أصدرت المجلة الإفريقية. وفي سنة 1852 تأسست جمعية قسنطينة للآثار وجمعية وهران الأثرية 1878. وكان لبناء مكتبة مدينة الجزائر التي ألحق بها المتحف الأثري دور في تشجيع الباحثين في دراسة تاريخ الجزائر. أنظر:

أبو القاسم سعد الله . منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر . مجلة الأصالة . ع 14-15. الجزائر 1973 . ص ص 8-9.

11- سعيدوني ناصر الدين . طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1984 . ص 63.

12- أبو القاسم سعد الله . منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر . في : أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر . ج 1 . عالم المعرفة . 2011 . ص 22 .

13- عند هؤلاء أنظر : *Histoire et historiens* وكذلك المجلة الإفريقية وكتاب : تاريخ المؤسسات الفرنسية . وأيضا:

Edouard Cat. Biographies Algériennes colons. Fonctionnaires savants commerçants, industriels ; imp . Spéciale de l'Algérie.

14 – مولاي بلحميسي . موقف المؤرخين .....مجلة الأصالة . العدد 14-15 صص 17-91.

Le père dan : histoire de barbarie et des 15 corsaires, paris pierre rocolte. 1649. P121.

16- نقلا عن عائشة غطاس ، نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، الجزائر ، 1988، ص 120.

17- مولاي بلحميسي ، موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، الجزائر، 1988، ص 102

18- حسب تعريف الأستاذ جمال قنان، فالمقصود بالإيديولوجية هنا؛ مجموع الأحكام المسبقة والآراء المبدئية والنظرة المتحيزة لبلد أو حضارة أو تاريخ مجتمع ما ، وتوجيه الأبحاث في اتجاه تأكيد الآراء والأحكام المسبقة ... انظر ؛ جمال قنان، التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد5، الجزائر، 1988، ص 130

19-جمال قنان ، المرجع السابق ، ص 140.

20- محمد الميلي ، موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر ، مجلة الأصالة، العدد 14-15 ، ص 62.

21- ناصر الدين سعيدوني : طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ، في ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2012 ، ص 40.

22- مولاي بلحميسي ، المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العهد العثماني ، مجلة الأصالة ، العدد 14-15، ص 71.

23- جمال قنان، المرجع السابق، ص 134.

24- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 39.

25- *Robert Mantran : les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie , note pour une étude plus approfondie. In annuaire de l'Afrique du nord 1962. P 244. cnrs.aix en – province.*

26- سعد الله أبو القاسم ، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر ، الجزء 1، عالم المعرفة ، الجزائر 2011، ص 266.

27 – للتوسع أنظر محاضر اللجنة الإفريقية في ؛

Procès-verbaux et et rapports de la commission d'Afrique, institue par ordonnance du roi du12 dec 1833. Imprimerie royale. paris 1834.